إشكالية المعرفة والإشراق الإلهي عند القديس أوغسطين
مقدمات فلسفية وتاريخية لقراءة فلسفة أوغسطين

الباحث حلال إسماعيل
باحث في تاريخ الأفكار الفلسفية والعلمية في العصر الوسيط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس
المغرب

ملخص:

سنخصص هذا المقال لدراسة إشكالية المعرفة والإشراق الإلهي عند القديس أوغسطين في العصر الوسيط، من خلال البحث في أسس المعرفة في فلسفة أوغسطين، لأن المعرفة عنده لا ترتبط بالحس أو العقل فقط بل ترتبط بعنصر أساس في نسقه هو الإشراق الإلهي. وفي هذا السياق، سنحاول تسليط الضوء على طبيعة العلاقة القائمة بين المعرفة والإشراق الإلهي ودور الحس والعقل في تشكيل المعرفة في النسق الأوغسطيني.

المفاهيم المفتاحية: المعرفة، الإشراق الإلهي، العقل، الحس، العصر الوسيط.

Abstract:

In this article, we will address the problem of knowledge and divine illumination in Saint Augustine in the Middle Ages, through the foundations of knowledge in Augustine's philosophy, because knowledge for him is not only related to sense or reason, but is also related to a basic element in his system, which is divine illumination. In this context, we will approach the nature of the relationship between knowledge and divine illumination and the role of sense and reason in shaping knowledge in the Augustinian system.

Key concepts: knowledge, divine illumination, reason, sense, Middle Ages.

مقدمة:

تعتبر اسهامات أوغسطين في الفلسفة واللاهوت من أبرز الإسهامات النظرية التي لا يمكن القفز عليها أثناء التأريخ لتطور الأفكار الفلسفية في العصر الوسيط؛ لأن أوغسطين يشكل حلقة وصل بين المذاهب والتيارات الفلسفية اليونانية بتلاوينها المختلفة الأفلاطونية والأرسطية والأفلوطينية والمذاهب الفكرية التي تشكلت بعد أوغسطين في العصر الوسيط بشكل عام. يمكن أن توصف تصورات القديس أوغسطين[1] الفلسفية واللاهوتية، بأنها تركيب لكل ما سبقه من تفكير وتصورات مسيحية في القرون الأربعة الأولى، إضافة إلى إسهامات آباء الكنيسة اليونان في القرنين الخامس والسادس وصولا إلى التفكير المسيحي السكولائي، نظرا للتحول الذي عرفه الفكر المسيحي، وخصوصا مع **بويس Boèce** الذي استطاع بشرحه لأرسطو في أواخر العصر الكنسي أن يحول محور التفكير المسيحي من الأفلاطونية إلى الأرسطية، ممهدا بذلك "لظهور الفلسفة المدرسية بمعناها الاصطلاحي، وهي دراسة التفكير المسيحي في العصور المتأخرة بعد نشأة المدارس والجامعات، وبعد نقل الحضارة اللاتينية إلى الشمال أثناء بناء الإمبراطورية الكارولنجية[2] Carolingien التي اعتبرت نفسها الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية"[3]. وبناء على ذلك يمكن صياغة الأسئلة الاتية:

ماهي أهم الشروط النظرية والتاريخية التي ساهمت في بروز إشكالية المعرفة عند أوغسطين؟ وهل المعرفة عند القديس أوغسطين مصدرها العقل والحس أو مستمدة من الإشراق الإلهي؟ ماهي الحدود الفاصلة بين فعل المعرفة في صيغته الإنسانية المحايثة وفعل المعرفة في صيغته الإشراقية المفارقة في عند أوغسطين؟

الأسس الفلسفية والثيولوجية لإشكالية المعرفة عند أوغسطين:

يتضمن النسق الفكري الأوغسطيني في طياته جملة من التحولات التي عرفها الفكر المسحي، من أبرزها دخول الأفكار الأفلاطونية والأفلوطينية إلى المسيحية، وخصوصا محاورة **طيماوس** لأفلاطون، وكتاب **تاسوعات أفلوطين** التي اعتمد عليها القديس **أوغسطين**[4] لمعرفة أفكار وتصورات **أفلوطين**، إذ على منواله يعتقد القديس أوغسطين أنه متى "فرغت النفس إلى نفسها، وانتظمت وتناغمت، وجملت فستجترئ عندئذ على أن ترى الله، المنبع الذي منه تصدر كل حقيقة. وفيما دون هذه الرؤية التي هي وقف على القلة القليلة، تبصر النفس العاقلة المتحدة اتحادا طبيعيا بالمعقولات الحقائق على ضوء لا جسمي، طبيعة من طبيعتها"[5].

وبهذا التحديد، يتضح أن أهم القضايا التي شغلت تفكير واهتمام القديس **أوغسطين**، هي قضايا معرفية ولاهوتية تتعلق بالإيمان والعقل والمعرفة الإيمانية والعقلية للحقائق. وبناء على ذلك، يبدو أن هذه هي أهم المفارقات والإشكالات التي وجهت التفكير الفلسفي واللاهوتي في العصر الوسيط، إنها إشكالات معرفية ونويطيقة، طرحت بإيعاز من جدلية حقائق العقل والكتاب المقدس؛ لأن معرفة حقائق الدين "هي معرفة محتواة بين دفتي علم الكتاب المقدس. وقد كتب **رابان ماور**[6] يقول: إن أس الحكمة وكمالها العلم بالكتب المقدسة"[7]؛ بمعنى أن الكتاب المقدس هو أساس ومصدر الحقيقة والمعرفة الإلهية، وإلى جانب الكتاب المقدس هناك كتاب الطبيعة، بمعنى الحقائق الموجودة في الطبيعة والأشياء، وكانت الفلسفة بمثابة دعامة لدراسة هذه الإشكالات والقضايا، إذ "لا غنى عنها كأداة منطقية، والمنورة أيضا بأشعة الحقيقة لدى الفيلسوف أفلاطون وأقرانه، هي في الوقت نفسه خطيرة لأنها تضعنا على منزلق الهرطقة"[8]؛ بمعنى أن الفلسفة في صيغتها الأفلاطونية والأفلوطينية والأرسطية في جانبها المنطقي كانت بمثابة أداة منطقية خادمة للاهوت، وقد ارتبط بروز نظرية المعرفة عند **أوغسطين** بالسياق النظري في التقليد الإغريقي اللاتيني، بعدما انتشرت نصوص حول التفكير في النفس، من خلالها تشكلت نظريته في طبيعة ووظائف التعقل، بإيعاز من التعليقات المنطقية **لبويس**، ومجموعة من التصورات السيكولوجية المستمدة من محاورة **طيماوس**، في الوقت الذي كانت فيه النظرية الأرسطية في النفس غير معروفة أو خارج دائرة التفكير"[9]. ولذلك يبدو أن التصورات الأفلاطونية سيكون لها امتداد وتأثير فلسفي، إلى جانب الحضور الثيولوجي، في نظرية المعرفة عند **أوغسطين**.

ومن هنا، يتضح أن فكر **أوغسطين** قد تأسس من الناحية الفلسفية والثيولوجية على مجموعة من الثنائيات النظرية كالعقل والإيمان أو سلطة العقل وسلطة المقدس، ثم المعرفة الحسية والمعرفة العقلية، وهي ثنائيات معرفية في عمقها، غايتها بلوغ الحقيقة، لهذا اهتم أوغسطين بمشكلة العقل والسلطة Raison et Autorité أو كما يقول علماء المسلمين العقل والنقل. فالعقل عند أوغسطين لا يستقل بذاته

في إدراك الحقيقة المطلقة، بل لابد له في ذلك من سلطة أخرى هي في الغالب سلطة الكتاب المقدس، وهي مشكلة أقرب ما تكون إلى مصادر المعرفة منها إلى مناهج المعرفة، "فلكي يكون برهان العقل يقينيا لابد له من الاعتماد على السلطة التي تمحو كل شك وتردد قد يتركه العقل في البرهان"[10]. ولذلك، يستعين **القديس أوغسطين** بسلطة الكتاب المقدس والتي تشير إلى الإيمان والحقائق الإيمانية، لأنه هو المرشد الأساس في عملية المعرفة وإدراك الحقيقة، كما أن "الإيمان أيضا يعد شرطا ضروريا للتعقل والتعقل ضروري للإيمان"[11]. وبذلك فالإيمان بحقائق الوحي هو السبيل نحو التعقل، وهذا ما جعل من اللاهوت على ما يبدو محركا إبيستمولوجيا لتطور نظرية المعرفة في العصر الوسيط، إذ من خلال الإيمان يمكن تعقل حقائق الوحي المنزلة وتعقل الحقائق الفلسفية، ومنهج **أوغسطين** تأسس على هذه الجدلية النظرية التي يتداخل فيها العقل والإيمان؛ حيث نعقل لكي نؤمن ونؤمن كي نعقل أيضا، "فالطريق الأول الذي يسلكه التفكير نحو الله هو قبول الوحي بالإيمان، إنها خطوة نحو الحقيقة"[12].

ومن خلال هذا السعي نحو بلوغ الحقيقة تطرح الإشكالية الاتية: هل نؤمن لكي نعرف أم نعرف لكي نؤمن؟ ومعرفتنا تتعلق أحيانا بالأشياء المرئية وأحيانا بالأشياء المخلوقة، أشياء طبيعية يمكن مشاهدتها وأشياء أخرى لا يمكن مشاهدتها قد تكون عبارة عن كلمات وشواهد، وهذا ما "يجعل الإيمان بها شكل من أشكال المعرفة"[13]. وهكذا، يتضح أن البحث في إشكالية العقل والإيمان عند **أوغسطين**، هو المدخل الأساس لنظرية المعرفة، لأن فعل المعرفة والتعقل عنده مرتبط بتصوره للإيمان. "فالعقل هو الشرط الأول لإمكانية الإيمان، لأنه حينما يتوقف العقل وفق حدوده المعرفية يبدأ الإيمان بمجموع المخلوقات التي خلقها الله التي تندرج ضمن مجال الإيمان"[14]. وأفعال الإيمان والتعقل هي أفعال إنسانية تدخل ضمن مجال المعرفة، "فالإنسان وحده هو الكائن الذي يؤمن لأنه يمتلك العقل"[15]. وبذلك فالإنسان كائن يفكر، وهذا ما يجعله يكتسب المعرفة بواسطة العقل ويصل إلى الحقيقة. وبالتالي، فنظرية المعرفة عند **أوغسطين** لا تنفصل عن تصوراته في الإيمان والعقل؛ إذ بواسطة العقل يتم تحصيل المعرفة نظرا لقدرته على التمييز والحكم على كل ما تنقله الحواس. فما منزلة كل من المعرفة الحسية والمعرفة العقلية عند **أوغسطين؟**

المعرفة الحسية والمعرفة العقلية عند أوغسطين

تحتل نظرية المعرفة عند القديس **أوغسطين** مكانة أساسية في نسقه الفلسفي والثيولوجي، وكان الهاجس المنهجي حاضرا عنده بقوة في نظرية المعرفة، من خلال البحث في طرق وسبل تحصيل المعرفة والحقيقة. وهذا ما يدفعنا إلى طرح السؤال الآتي: كيف تتم معرفة الأشياء وإدراك الحقيقة؟ هل بالحواس أم بالعقل أم بالإشراق الإلهي؟

ذهب **أوغسطين** إلى أن المعرفة ينبغي أن تقوم على أسس ثابتة، وعلى يقين أول، واليقين الأول هو إثبات الذات، وهو الذي يسمى بالكوجيطو الأوغسطيني، الذي يعتبر عنصرا وسندا أساسيا منه استلهم تصوراته المعرفية في النفس، والتي أثبت أنها جوهر روحي يتحدد بالفكر، وتدرك نفسها بيقين أنها فكر، وهذا ما يجعل منها جوهر مفكر. ومادامت النفس جوهر مفكر، فما علاقتها بالجسد العنصر الذي تتحد به؟ وكيف يكون الاتحاد بين جوهرين متمايزين في الإنسان؟

يبدو أن التصور الأوغسطيني في النفس –السيكولوجيا الأوغسطينية– أضحى مدخلا نظريا ومنهجيا لفهم تصوراته في نظرية المعرفة، فتصور **أوغسطين** في "اتحاد النفس والجسد، ينعكس على تصوره في المعرفة"[16]. حيث ينظر القديس **أوغسطين** إلى الإنسان انطلاقا من ثنائية النفس والجسد، فالنفس عنده هي الجوهر العاقل الذي يتحكم في البدن، وبعد إثباته لماهية النفس التي ترتبط بالمعرفة، حاول **أوغسطين** التمييز بين أنواع المعرفة ودرجة اليقين فيها، معتمدا على سيرورة يطبعها التدرج المعرفي نحو الحقيقة والله، حيث يقول في كتاب **الاعترافات**:

"وهكذا ارتقيت تدريجيا من الأجسام إلى النفس التي تشعر بواسطة الجسد، ومنها إلى تلك القوة الباطنية التي تنقل إليها الحواس الجسدية إحساسيها الخارجي، وهذه القوة تعد عند البهائم الذكاء، ومنها أيضا إلى القوة العقلية التي يخضع لحكمها ما شعرت به الحواس الجسدية"[17].

من خلال هذا القول، يتضح أن المرحلة الأولى في المعرفة هي المعرفة الحسية؛ إذ تشكل الحواس مستقبلات أولية ومصادر معتمدة لبلوغ المعرفة الصحيحة، وتساهم بشكل أساس في عملية تحصيل المعرفة، لأن المعرفة الحسية عبارة عن إدراك لكيفيات الأشياء عن طريق الحواس المختلفة، فالألوان والأشكال الهندسية مثلا يتم إدراكها بحاسة البصر، والأصوات بالسمع، والروائح بالشم، بينما يتم إدراك ومعرفة الأشكال الجسمية الكبيرة أو الصغيرة أو المستديرة باللمس والبصر معا، ولا وجود للإحساس بدون فعل خارجي يمارسه موضوعا ما على العضو الحسي: كالنور في العين، الصوت في الأذن ونفس الأمر بالنسبة للحواس الأخرى"[18]. ولهذا، يبدو أن تصور **أوغسطين** في الإحساس يرتبط بتصوره في الاتحاد بين النفس والجسد[19]، لأن الإحساس هو حالة من حالات استخدام النفس للجسد، وهو وعي النفس إثر تلقيها تأثيرا أو تنبيها من العضو الحسي من خلال انطباع يتلقاه الجسم، وينكشف للنفس بذاته، وهكذا ترتبط المعرفة الحسية ارتباطا وثيقا ببنية الإحساس، والمحسوسات هي سبب الإحساس، "فحينما نقول مثلا العسل حلو، نعرف ذلك لأننا تذوقناه"[20]، وهذا يبرز أن الإحساس[21] هو بمثابة فعل تأثير بالنسبة للجسد، غير أن النفس عندما تحس لا تتلقى الأثر من الجسم فقط، وإنما من نفسها، لذلك، فلا إحساس بدون فكر؛ فعند سماع صوت ما، فالعقل هو الذي يحكم على طبيعته. وهذا ما يبين أن المعرفة الحسية لها حدود معينة، قد تعجز عن بلوغ الحقيقة واليقين، نظرا للارتباط بين النفس والجسد. وهكذا، فإن "السؤال حول حدود المعرفة الحسية يرتبط بشكل واسع بمشكلة العلاقات القائمة بين النفس والجسد"[22]. إضافة إلى أن تحليل المعرفة الحسية يبين بشكل "بديهي وجود النفس والفكر الخالص، وتحليل الفكر الخالص يبرز بشكل بديهي وجود الله"[23].

2.1. المعرفة العقلية والإشراق الإلهي عند القديس أوغسطين

يلعب مفهوم الإحساس دورا مهما في سيرورة تحصيل المعرفة عند **أوغسطين**، غير أن عالم الحس له حدود في مجال المعرفة، لأن الحس يرتبط بالتغير، مما يجعل اليقين في دائرة الشك، وهنا يبرز الطابع والتأثير الأفلاطوني في فلسفة القديس **أوغسطين**، لأن **أفلاطون** يعتبر أن موضوع العلم اليقيني هو عالم المثل، أما عالم الحس هو عالم الظن، لأنه يتسم بالتغير، ولهذا استلهم **أوغسطين** نظرية المعرفة الأفلاطونية، حيث يعتبر أن كل ما يصل إليه المرء عن طريق الحس، وما نسميه بالمحسوس لا يكف لحظة واحدة عن التغير، كل شيء وأي شيء لصيرورة لا تنقطع، وكل ما لا يبقى مستقرا لا يمكن إدراكه، "لأن معنى الإدراك هو الفهم عن طريق العلم، والمرء لا يستطيع أن يفهم التغير المتصل، ومن ثم فلا يمكن للمرء أن يأمل في أن يصل إلى حقيقة أصلية عن طريق حواس الجسم"[24]. ولذلك، فإن تحصيل المعرفة اليقينية يكون بالعقل الذي يحكم على ما تنقله الحواس، إذ بواسطة العقل يتم إدراك مدى استحالة معرفة الأصوات بالعينين، وبواسطته أيضا نعرف أنه يستحيل أن نحس النور بالأذنين، "فنحن ندرك كل موضوعات الإدراك بحواس الجسم، أو بالنفس، فالموضوعات الأولى محسوسة والثانية معقولة، وبلغة آباء الكنيسة الموضوعات الأولى جسدية والثانية روحية"[25].

وارتباطا بعملية الإدراك، فإن مهمة العقل المعرفية، هي التمييز بين الحواس من جهة والأشياء التي تقدمها له الحواس من جهة أخرى. ومن هنا يبدو وفق النظام والمذهب الأوغسطيني في المعرفة، أن المعرفة العقلية أرقى من المعرفة الحسية، لأن العقل أسمى من الحس، نظرا لقدرة العقل على الحكم والتمييز وإدراك المعقولات. وهكذا يتم الانتقال التدريجي في نظام المعرفة الأوغسطيني من الحس إلى العقل الذي يشكل نقطة ارتكاز للوصول إلى المعرفة والحقيقة، وهو الأمر الذي يستدعي تدخل الإشراق الإلهي في عملية المعرفة، وهنا ترتبط نظرية المعرفة بالنظرية الإشراقية، والتي ليست طريقا للمعرفة فحسب، بل هي أيضا وسيلة للحصول على السعادة، "فالمعرفة الحق هي معرفة الحقائق الأبدية من المعلم الداخلي، وأساس هذه الحقائق وجود الله، يكشف الله عن نفسه داخل الفرد وتتم لهذا الاخير معرفته به"[26]. وهذا ما يوضح أن معرفة الحقيقة تتم بواسطة الإشراق الإلهي، والحقائق عند **أوغسطين** تنقسم إلى أربع حقائق كبرى هي: الحقائق الرياضية، الأخلاقية، المنطقية والميتافيزيقية. وهي حقائق تتميز بالضرورة والأزلية والثبات، حيث تفرض نفسها على كل العقول لأنها ضرورية، كما أنها مستقلة عن الأشياء والمعطيات الحسية الخارجية، فمعرفة الأعداد مثلا ليست عملية حسية بل عقلية. كما أن إدراك هذه الحقائق ومعرفتها هو ما جعل **أوغسطين** في نظرية المعرفة يلجأ إلى نظرية الإشراق الإلهي التي استلهم أسسها الفلسفية من الأفلاطونية

المحدثة، لتوضيح مصدر الحقائق وعلتها. وقد اعتبر **أوغسطين** أن هذه الحقائق، وما تحمله من خصائص الضرورة والأبدية والثبات، تستلزم وجودا يسمو على العقل الإنساني، ومن خلال تحليله لخصائص الحقيقة التي تشكل غاية المعرفة، اكتشف ضرورة وجود كائن أبدي ثابت وكامل وهو الله، ووجود الله عند صاحب الاعترافات بديهي يتأسس على ثبات الحقيقة، "فالله هو النور الأزلي اللامتناهي الذي يجعلنا ندرك الحقائق الأبدية، فهو النور الإلهي الذي ينير كل إنسان في هذا العالم"[27]. وهذا ما يجعل من الإشراق الإلهي عنصرا أساسيا داخل نظام المعرفة عند **القديس أوغسطين**، ولذلك، "فنظرية المعرفة عنده ترتبط بنظرية الإشراق"[28] وبواسطة هذه الأخيرة تتم عملية تعقل الأشياء والموضوعات، بإيعاز من المعلم الداخلي،" الذي قيل عنه أنه مستقر في الإنسان الداخلي، أي قوة الله الدائمة والحكمة الخالدة، الذي ترجع إليه كل نفس ناطقة"[29]، إنه النور الداخلي الذي يرشد الإنسان للوصل إلى الحقيقة. ولذلك، فإن المعرفة عند **أوغسطين** بهذا المعنى تبدو قريبة من التذكر الأفلاطوني، غير أن تذكره هو تذكر إشراقي، فإذا كان التذكر الأفلاطوني يقوم على أسطورة أن النفس كان لها وجود سابق، وعندما تقوم بالتأمل الروحي والمعقول، فإنها تعود إلى حقيقتها في عالم المثل، "أما التذكر الأوغسطيني هو نتيجة التأملات الشخصية على الذاكرة، حيث تجد فيها فكرة الله بفضل نور الله الذي ينيرنا من الداخل"[30].

هكذا، يتضح أن الإشراق الإلهي يعتبر بمثابة سند ونقطة ارتكاز في نظرية المعرفة عند **القديس أوغسطين**، إذ بواسطة الإشراق الإلهي يمكن إدراك وتعقل الحقائق. وهو الأمر الذي يجعلنا نستخلص أن المعطيات السيكولوجية والثيولوجية، ساهمت في التطور الذي عرفته نظرية المعرفة عند **أوغسطين**، الذي يعتبر من أكثر الفلاسفة تأثيرا على مسار الفكر الفلسفي واللاهوتي في العصر الوسيط، حيث إن تصوراته الفلسفية والثيولوجية سيكون لها امتداد نظري وتاريخي في فلاسفة ما بعد **أوغسطين**، ومن بينهم **القديس أنسلم**"[31] الذي قال بأسبقية الإيمان على العقل، كما أكد على أهمية تعقل الإيمان ليؤسس بذلك لمعالم اللاهوت الطبيعي، الذي اعتمد فيه على مبادئ ونور العقل الإنساني، وهو "بذلك من أوائل المفكرين المسيحيين الذين اعتمدوا على سلطة العقل[32] في عملية التعقل وتحصيل المعرفة والحقيقة، وهي العملية التي يلعب فيها الإيمان دورا أساسيا في التعقل.

خاتمة:

تأسيسا على ما سبق، يتضح أن مفهوم الإشراق الإلهي عند أوغسطين، يعد مفهوما أساسيا يخترف معظم تصوراته الثيولوجية والفلسفية، مفهوم يمكن الانطلاق منه لفهم علاقة القديس أوغسطين بالأفلاطونية والعقيدة المسيحية وتعقب سياقات حضوره و تأثيره في مجموعة النظار في العصر الوسيط سواء في العالم الإسلامي أو في الغرب اللاتيني. فضلا عن ذلك، يعتبر مفهوم الإشراق الإلهي مدخلا من المداخل المحورية لقراءة فلسفة أوغسطين وفهم سياق تشكل تصوراته في المعرفة والحقيقة، لأن أبرز غاياته هي معرفة النفس ومعرفة الله، هذا ما يتجلى من خلال سعيه إلى البحث عن اليقين و تأسيس كوجيطو المعرفة، لهذا سينطلق من الحس ودوره في تشكيل المعرفة، ليبين أن المعرفة الحسية عاجزة عن بلوغ الحقيقة واليقين؛ لأن لا شيء ثابت في النظام الحسي، ومنه اعتبر أن تحصيل الأفكار واليقين إنما يكون بالعقل الذي يحكم على ما تنقله الحواس، لهذا السبب، يعتبر أن المعرفة العقلية أرقى من المعرفة الحسية، وبالتالي فالعقل أسمى من الحس. فضلا عن ذلك، هناك حقائق أزلية ثابتة تفرض وجودها على العقل، وهي حقائق مستقلة عن الأشياء والمعطيات الحسية الخارجية، ومصدر هذه الحقائق هو الإشراق الإلهي. وختاما نتساءل: أليس مفهوم الإشراق الإلهي عند القديس أوغسطين تطويرا لنظرية التذكر عند أفلاطون ونظرية الفيض عند أفلوطين؟

الهوامش:

[1]. **القديس أوغسطين Saint Augustin** (354-430) ولد في بلدة تاغاست **Thagaste** سوق أهراس في الجزائر وتوفي بهيبون**Hippone** أي عنابة حاليا. ويعتبر أوغسطين من أبرز أعلام الفكر المسيحي الذي يعد بسيرته الفكرية نموذجا لمفكر وسيطي امتد تأثيره في جميع مجالات الحياة الفكرية والأخلاقية والدينية للمسيحيين على امتداد تاريخ الفكر الغربي. وقد اشتهر بكونه انتقل من اعتناق مذهب المانوية إلى المسيحية، واشتهر عنه أيضا تأثره بالأفلاطونية المحدثة ومحاوراته التي جادل فيها أغلب المناوئين للعقيدة المسيحية. ولهذا السبب يحتل **أوغسطين** منزلة نظرية مهمة في تاريخ الفلسفة الوسيطية نظرا لحضور وتأثير تصوراته المعرفية والثيولوجية في الأنساق الفلسفية اللاحقة له في العصر الوسيط وعصر النهضة، كما أن تصوراته في إشكالية العقل والإيمان تعتبر منطلقا أساسيا لتعقب التطور الذي عرفته نظرية النويطيقا في علاقتها بالثيولوجيا لدى الفلاسفة اللاتين بدءا **بطوماس الأكويني** وصولا إلى دانس سكوت. ويعتبر القديس **أوغسطين** أحد واضعي رسوم الموقف المسيحي تجاه الطبيعة، وفي هذا السياق يعد كتابه في **العقيدة المسيحية** المرجع الفكري في تعيين غايات العلم والتعليم وتوجيه البرنامج الدراسي، وفي وضع الإطار العام لضبط العلاقة القائمة بين المعرفة المتصلة بالعقيدة المسيحية وغيرها من المعارف الأخرى وخاصة العلوم الطبيعية التي جعلها خادمة للمقاصد اللاهوتية والدينية، وهو الأمر الذي تشكلت عنه البوادر والمعالم الأولى للتمييز بين المعارف الفلسفية وبين المعارف الدينية المسيحية؛ أي التمييز بين مجال العقل المستقل بقدراته المعرفية وبين مجال العقل المزود بالإيمان.

[2]. **الإمبراطورية الكارولنجية**: هي إمبراطورية اتسمت بضخامتها تاريخيا، وكانت تحت هيمنة الفرنجة، وقد تمركزت في غرب وسط أوربا في بدايات العصور الوسطى؛ حكمتها سلالة الملوك الكارولنجيين باعتبارهم ملوك الفرنجة منذ سنة 751 وملوك اللومبارديين في إيطاليا ابتداء من سنة 774، وفي سنة 800، توج **البابا الثالث شارلمان** ملك الفرنجة إمبراطورا في روما سعيا منه لنقل مركز الإمبراطورية الرومانية من الشرق إلى الغرب. وقد مثلت الإمبراطورية الكارولنجية المرحلة الأولى من تاريخ الإمبراطورية الرومانية التي دامت حتى سنة 1806. وقد تزامن مع تطور هذه الإمبراطورية مجموعة من التحولات الفكرية والثيولوجية التي سيكون لها تأثير وانعكاس في تطور نظرية المعرفة والنويطيقا في العصر الوسيط بشكل عام وتحديدا في الغرب اللاتيني.

[3]. حنفي حسن، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط: أوغسطين، أنسيلم، طوما الأكويني، ترجمة وتقديم وتعليق حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص.3.

[4]. علاقة **أوغسطين** بالأفلاطونية والأرسطية. يبدو أن فلسفة **أوغسطين** عبارة أفلاطونية خالصة. وقد ظل بعيدا عن التأثر بالمدارس المشائية، وبأرسطو كل البعد. لأن فكر **أرسطو** لم يكن يناسب مزاجه وتصوراته أحيانا، وكان تفكير المعلم الأول يقوم على الواقع، ولا يؤمن- ولو ظاهريا فقط- بالحقائق العلوية التي تعد الأساس الذي يقوم عليه بناء المسيحية المذهبي. ورأي **أوغسطين** في العقل والإيمان، بين العلم والإيمان، يتلخص في الصيغ الرئيسة الاتية التي يقول بها وهي: أولا: أن العقل يسبق الإيمان وأن الإيمان يسبق العقل، وأن الإيمان للتعقل. فالعقل يسبق الإيمان من حيث إن العقل هو الذي يبين قيمة الحقائق الإيمانية، من جهة وجوب الاعتقاد بها، أو عدم وجوبه. ولكن الإيمان يسبق العقل؛ لأن الإيمان يجب أن يتقدم العقل لكي يتعقله، ثم ينبغي أن يكون الإيمان متجها نحو التعقل، فلا يكون إيمانا ساذجا بل إيمانا عقليا. لتعميق النظر في هذا الموضوع، أنظر. بدوي عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، دار القلم، بيروت، الطبعة الثالثة 1979 ص. 21.

[5]. بريه إميل، تاريخ الفلسفة، الجزء الثالث، العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1988، ص.21.

[6]. **Raban Maur** (780-856).

[7]. بربيه إميل، تاريخ الفلسفة، الجزء الثالث، العصر الوسيط والنهضة، م.م. ص. 22.

[8]. المرجع نفسه، ص.26.

[9]. De Libera Alain, *La philosophie médiévale*, Cinquième édition, Presse Universitaire de France, Paris, 1989, p.99.

[10]. حنفي حسن، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط: أوغسطين، أنسيلم، طوما الأكويني، م.م. ص.13-14.

[11].المرجع نفسه، ص.14.

[12]. Gilson Etienne, Introduction à l'étude de Saint Augustin, Deuxième édition, Librairie philosophique J. Vrin, Paris, 2003, p.31.

[13].Ibid., p.33.

[14].Ibid., p.34.

[15].Ibid., p.34.

[16].Ibid., p.74.

[17]. أوغسطين، الاعترافات، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط.3، 1988، ص. 45.

[18]. Etienne Gilson, Introduction à L'étude de Saint Augustin, Op.cit., p.74.

[19]. L'union de l'âme et du corps chez **Saint Augustin**: « comment ces connaissances se produisent-elles ? Résultent- elles d'une action exercée par le corps sur l'âme, ou, au contraire, d'une action exercée par l'âme soit sur elle- même, soit sur le corps, c'est ce qu'il convient d'examiner. ». Gilson Etienne, Introduction à L'étude *de Saint Augustin*, p.74.

[20].Ibid., p.76.

[21] « On donne le nom de sensation à toute passion subie par le corps lorsque, par elle-même, elle ne reste pas ignorée de l'âme et ne lui échappe pas. Toutes les parties de cette définition indirecte portent, mais c'est la dernière clause qui lui confère sa pleine signification. Dire que les sensations sont des passions subies par le corps, c'est rappeler simplement le fait bien connu, qu'il n y a pas sans action exercé du dehors par un objet sur un organe sensible ». Gilson Etienne, *Introduction à L'étude de Saint Augustin*, p.74.

[22].Ibid., p.80.

[23].Ibid., p.88.

[24]. جيلسون إتيان، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة نابولي، ط.3، 1996، ص.294.

[25]. حنفي حسن، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط: أوغسطين، أنسيلم، طوما الأكويني، م.م. ص.92.

[26]. المرجع نفسه، صص.27-28.

[27]. أوغسطين، الاعترافات، م.م. ص.161.

[28]. Gilson Etienne, *Introduction à L'étude de Saint* Augustin, Op.cit., p.103.

[29]. حنفي حسن، نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط: أوغسطين، أنسيلم، طوما الأكويني، م.م. ص.91.

[30]. زيعور علي، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية، دار اقرأ، بيروت، ط.1، 1983، ص.198.

[31]. **Saint-**Anselme (1033-1109).

[32]. يحتل مفهوم العقل منزلة أساسية في فكر **القديس أنسلم**، وهذا ما تلخصه عبارته الشهيرة " **الإيمان الذي ينشد التعقل**" فهو لا يريد أن يتعقل لكي يؤمن؛ وإنما هو يؤمن لكي يتعقل؛ أي أن حقيقة الإيمان لا تظهر عن طريق العقل وإنما الإيمان هو الذي يظهر الحقيقة للعقل. لتعميق النظر في هذا الموضوع، أنظر بهذا الصدد: بدوي عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، صص. 12-13.